


## مقامات الحريري بين الاستدراك والانتقاد والانتصار لمحات في دائرة نقد النقد

أ. د. ابتسام مرهون الصفار\* 

وردت مصطلحات في كتب التراث العربي القديم تحوم حول المصطلح النقدي الحديث «مصطلح نقد النقد»، ونخص هنا مصطلحات أطلقت على ما كتب عن مقامات الحريري، وأولها ما كتبه ابن الخشاب عن المقامات رسالة لم يسمها بنفسه ولذلك سميت بأكثر من اسم هي:

- ١- حاشية مقامات الحريري لأبي محمد عبد الله بن أحمد بن أحمد المعروف بابن الخشاب
- ٢- الاستدراكات.<sup>(١)</sup>
- ٣- الاعتراض على الحريري واعتراضات ابن الخشاب.<sup>(٢)</sup>
- ٤- الرد.<sup>(٣)</sup>

وردت باسم «النكت والانتقاد» وهو الاسم الذي ارتضاه د. يوسف الجمل في تحقيقه ونشره لرسالة ابن الخشاب

وكتب ابن بري رسالة أخرى تصدى فيها لابن الخشاب ناقضا استدراكاته فكرة فكرة واعتراضا اعتراضا إلا بعض المواضع التي لم يعلق عليها مما سنقف عنده في دراسة الرسالة، وقد سميت بأكثر من اسم:  
رد ابن بري على ابن الخشاب.<sup>(٤)</sup>



١- سمي الرد باللباب في الرد على ابن الخشاب<sup>(٥)</sup> وأما الاعتراض<sup>(٩)</sup> فهو مصدر من اعترض الشيء  
٢- وسميت تسمية الثالثة هي: انتصار ابن بري للحريري<sup>(٦)</sup>.

ونقف قليلا عند هذه المصطلحات:

أما الاستدراك فهو الاسم الذي سميت به رسالة ابن الخشاب في نقده لمقامات الحريري وهو من درك الشيء لحقّ به،<sup>(٧)</sup> واستدرك الشيء بالشيء حاول إدراكه.

استدرك الشيء بالشيء إذا حاول اللحاق به . واستدرك الرأي والأمر: إذا تلافى ما فرط فيه من الخطأ أو النقص

واستدرك عليه القول: أصلح خطاه، وأكمل نقصه أو أبعد أو أزال عنه لبسا.

وفي الاصطلاح عند النحويين والأصوليين:

١- رفع ما يتوهم ثبوته من كلام سابق أو إثبات ما يتوهم نفيه.

٢- إصلاح ما حصل من القول أو العمل من خلل أو قصور أو فوات.<sup>(٨)</sup>

فالاستدراك لا يوحى بتتبع الأخطاء أو إبرازها فقط، وإنما هو محاولة العالم متابعة المؤلف الأول، لتصحيح خطأ أو بيان وجهة نظر أو إضافة.

والاعتراض عند العسكري في الصناعتين<sup>(١٠)</sup>: كلام في كلام لم يتم، ثم يُرجع إليه فيتمه.

والاعتراض عند العسكري في الصناعتين<sup>(١٠)</sup>: كلام في كلام لم يتم، ثم يُرجع إليه فيتمه.

وقرن ابن الأثير الاعتراض بالذم حين توقع أن يعترض بعض الأعمار على ما ذكره<sup>(١١)</sup> وسمى ابن أبي الحديد نقده للفلك الدائر اعتراضا: «أكثر قصدي في ذلك الاعتراض على المثل السائر»<sup>(١٢)</sup>

فكان مجموع مطالعتي له واعتراضي عليه خمسة عشر يوما،<sup>(١٣)</sup>

فلاعتراض وفق هذه التعريفات قد يعنى ما يستوقف الباحث من تعابير أو ألفاظ، يتوقف عندها ويعترض عليها. وتعني محاولة إكمال واستدراك كما عند العسكري، وقد تأخذ جانب الذم فقط كما عند ابن الأثير .

وأما النكت والنكتة فهي في اللغة: النقطة في الشيء تخالف لونه.

وفي الاصطلاح: مسألة لطيفة أخرجت بدقة ونظر وإمعان فكر من نكت رمحه بأرضه إذا أثر فيها، وسميت المسألة الدقيقة نكتة لتأثير الخواطر في استنباطها.<sup>(١٤)</sup>



أما الانتقاد فإنه يحمل معنى تقصّد تتبع الأخطاء والجوانب السلبية، بخلاف النقد الذي يعني إبداء الرأي في عمل أدبي وتحليله وبيان مافيه من إيجابيات وسلبيات، باختلاف المناهج التي يطبقها الناقد.

وهذا يعني أن تسمية رسالة ابن الخشاب بالنكت والانتقاد يحملان وجهين لنقده؛ الأول يذكر مسائل دقيقة، استنبطها بفكر ودقة. والوجه الثاني تقصد تلمس ابن الخشاب العيوب السلبية. وردود ابن بري على ابن الخشاب تحمل رفض آرائه التي انتقد بها لغة الحريري فالردُّ لغة صرف الشيء ورجعه. وفي الحديث: من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو ردُّ والجمع ردود عليه. ردُّ عليه قوله: راجعه .

وأما الانتصار - وهو اسم رسالة ابن بري فهو نقد موجه نحو وجهة واحدة هي الدفاع والانتصار لرأي أو نقد عيب على الكاتب ولم يلمس إلا الاساءة إليه فيحوله المنتصر إلى حسنة ويدافع عنه.

فهل تنضوي هذه المصطلحات تحت مصطلح نقد النقد؟

وقبل الإجابة على هذا التساؤل نقف وقفات

قصيرة عند تعريف نقد النقد. يقول جابر عصفور معرفاً نقد النقد بأنه «قول آخر في النقد يدور حول مراجعة القول النقدي ذاته وفحصه»<sup>(١٥)</sup>

وضمن هذا التعريف يمكن أن تنطوي استدراقات ابن الخشاب ورد ابن بري عليه ضمن مصطلح نقد النقد، لأنها تقوم فعلا على مراجعة القول النقدي الذي يمثله ابن الخشاب ويراجعه ابن بري ويتفحصه.

أما من أضاف إلى تعريف نقد النقد شرط إعادة تنظيم المادة النقدية بعيدا عن أي ادعاء بممارسة النقد الأدبي، فهو يبعد أمثال كتابات ابن الخشاب وابن بري عنه، لأن ابن بري لا يعيد كتابة المادة النقدية، وإنما يرد على كل فقرة وردت في استدراقات ابن الخشاب ويعتقد أنها تستحق الرد.<sup>(١٦)</sup>

وقد عدت الردود إرهاصات لنقد النقد وأنها شكلت معينا لإثراء الأدب العربي.<sup>(١٧)</sup>

وادخلت المعارضة معها.<sup>(١٨)</sup>

«ونقد النقد ينطوي بالضرورة على النقد والانتقاد، ونعني به نقد الأفكار والأسس والمناهج معا»<sup>(١٩)</sup>

أما النقد والانتقاد فسمتان متوافرتان في رد ابن

بري، وأما نقد المناهج والأسس فغير متوافرة فيه لأنه لم يناقش في ردّه على ابن الخشاب منهاجا ما. وقد سجّل باقر جاسم عددا من سمات نقد النقد كان منها: أنها تتخذ شكل ردود واعتراضات وتصويبات لآراء الناقد الأول.<sup>(٢٠)</sup>

كل هذا يجعلنا نقول إن ما كتب حول مقامات الحريري مصطلحات تحوم حول نقد النقد وليست من نقد النقد تماما، لأنه مصطلح نقدي حديث، قائم على دراسة الظاهرة التأويلية في ضوء علاقتها بالنص الإبداعي، ومدى توفيقها في استنباط معاني المعاني وكشف خصوصياته، ودفعت البعض الآخر إلى الاهتمام بجوهر الممارسة النقدية ذاتها، وتفكيك منطقتها وفحص آلياتها وإجراءاتها، ومرجعيات أصحابها الفكرية والنظرية والجمالية.<sup>(٢١)</sup>

والواقع أن المصطلح استوقفنا لأن ما كتبه قليلا عن نقد النقد في التراث العربي، يدخل كثيرا من هذه الدراسات ضمن نقد النقد، ومثله ما كتبه الدغمومي عن نقد النقد في التراث العربي المثل السائر نموذجا ولهذا أردنا الإشارة إلى هذا المصطلح.

ونعود الى مقامات الحريري وما كتب عنها من

نقد، لنقف على ثلاثة عناصر تشكل قوام البحث: «الحريري ومقاماته، ابن الخشاب، ابن بري». أما الحريري، فمجرد ذكر المقامات يبرز أمامنا اسمه واسم؛ بديع الزمان الهمداني الذي سبقه وتتبعهما أسماء أخرى سارت على نهجيهما، أو أخذت الفكرة والشكل الفني، وأخرجتها في مقامات قلّ عددها وأكثر، وتنوعت موضوعاتها أيضا. ولكننا نؤثر تسطير بعض التفصيلات عن حياة الحريري؛ لتنسجم منهجية بحثنا، لأننا سنترجم لابن الخشاب وابن بري أيضا..

١- الحريري: هو أبو محمد القاسم بن علي بن محمد المشهور بالحريري وابن الحريري عند بعض من ترجم له.

ولد سنة ست وأربعين وأربعمائة، وتوفي سنة ست عشرة وخمسمائة، وقيل خمس عشرة في الرواية التي رويت عن ابنه أبي القاسم عبد الله بن أبي محمد الذي قال إن أباه توفي سنة ست عشرة وخمسمائة ببني حرام من البصرة، وكان له يوم توفي سبعون سنة.<sup>(٢٢)</sup>

ونالت المقامات شهرة واسعة واستحسانا كبيرا، والعجيب أن الحريري وقع بنفسه على سبعمائة نسخة قرأت عليه، وهو أمر لطيف يذكرنا



بتوقيع الأدباء والمؤلفين في أيامنا هذه على نسخ مؤلفاتهم عند صدورهما، حيث يتم التوقيع بحفل تقيمه دار نشر أو مؤسسة ثقافية، أو في معارض الكتب.

حفل التوقيع هذا كنا نظنّه من ابتداعات المحدثين في عصرنا، وإذا بالحريري يفاجؤنا بأنه كتب بخطه على نسخ المقامات ووقع عليها، وحين أخذت عليه بعض المآخذ اللغوية، قام بتعديلها ولكن ما شاع بين الناس قد شاع، ولا سبيل إلى تعديله وأن التعديل يتم بما يشبه في عصرنا هذا إصدارا ثانيا للكتاب، سنجد هذا في تعديله على وهم وقع فيه بشأن آية قرآنية، أخذ عليه ابن الخشاب ورودها في خطبة الكتاب.

وحدد بعض القراء سنة قراءته المقامات على الحريري نفسه وهو جابر بن عبد الله بن هبة الله بن علي حاكم ساقية سليمان الذي حدّث بأنه قرأ على القاسم بن علي الحريري المقامات سنة أربع عشرة وخمسائة، أي قبل وفاة الحريري بسنتين، وأن هذا القارئ صحّف حرفا عند قراءة نسخته على الحريري، ولكن الحريري أعجبه التصحيف، ورآه أجود، وذلك في البيت الوارد في إحدى مقاماته:

قد دفع الليل الذي اكفهرًا

إلى ذراكم شعثًا مغبرًا

فقرأ القاريء «سغبا مُعْتَرًا، ففكر ساعة ثم قال: والله لقد أجدت في التصحيف، فإنه أجود، فربّ شعث مغبر غير محتاج، والسغب المعتر موضع الحاجة، ولولا أنني قد كتبت خطي على هذا اليوم على سبعمائة نسخة قُرئت عليّ، لغيرت الشعث بالسغب والمغرب بالمعتر.

وهذا يدل على شهرة المقامات وانتشارها زمن مؤلفها. وابن الخشاب نفسه الذي كتب نقدا للمقامات قيل إن المقامات قُرئت عليه أكثر مما قُرئت على صاحبها.

وقيل إن شهرة المقامات امتدت في حياته إلى الأندلس، فوفد فريق من علمائها على الحريري ببغداد، منهم الحسن بن علي البطليوسي، والحجاج بن يوسف القضاعي، وأبو القاسم عيسى بن جهور، وقرأوا عليه بمنزله هذه المقامات، ثم عادوا إلى بلادهم حيث تلقاها عنهم العلماء والأدباء وتناولوها رواية وحفظا ومدارسة وشرحا.<sup>(٣٣)</sup>

ومما قيل في الثناء على مقامات الحريري شهادة الزمخشري فيها في بيتين من الشعر:

أقسم بالله وآياته

ومشعر الحج وميقاته

إنّ الحريري حرّيّ بأنّ

نكتب بالتبر مقاماته<sup>(٢٤)</sup>

ووصفها المطرزي الذي شرح المقامات بقوله: لم أر في كتب العربية والأدب، ولا في تصانيف العجم والعرب كتابا أحسنَ تأليفاً، وأعجبَ تصنيفاً، وأغربَ ترصيفاً، وأشملَ لعجائب العربية، وأجمع للغرائب الأدبية، وأكثرَ تضمناً لأمثال العرب، ونكت الأدب من المقامات التي أنشأها الحريري. إنشاء فاخر وكتاب باهر.<sup>(٢٥)</sup>

ويروي ابن خلكان أنه رأى في شهور سنة خمسين وخمسائة بالقاهرة نسخ مقامات، وجميعها بخط مصنفها الحريري، وقد كتب أيضا بخطه على ظهرها أنه صنّفها للوزير جمال الدين عميد الدولة أبي علي الحسن بن أبي العز علي بن صدقة وزير المسترشد.<sup>(٢٦)</sup>

ويشير ياقوت الحموي الى خبر يصفه بالعجيب، وهو أنه زار مدينة آمد سنة ثلاث وتسعين وخمسائة، وسمع أن بها الأديب شميم الحلي وأنه كان من العلم بمكان مكين، إلا أنه لم يكن يقيم لأحد وزنا في العلم والأدب، ويزدري كل من

يذكر أمامه منهم، مما أضجر ياقوت الحموي

فأراد ان يستفزه قائلاً:

أما كان في من تقدم على كثرتهم وشغف الناس بهم عندك قط مجيد؟

فقال: لا أعلم إلا أن يكون ثلاثة رجال: المتنبي في مديحه خاصة، ولو سلكت طريقه لما برز علي، ولسقت فضيلته نحوي، ونسبتها إلي، والثاني ابن نباته في خطبه... والثالث ابن الحريري في مقاماته.

فقلت: فما منعك أن تسلك طريقه، وتنشأ مقامات تخدم بها جمرته، وتملك بها دولته؟

فقال يابني، الرجوع عن الحق خير من التمادي في الباطل، ولقد أنشأتها ثلاث مرات، ثم أتأملها فأسترذلها، فأعمد الى البركة فأغسلها. ثم قال: ما أظن الله خلقني إلا لإظهار فضل الحريري وشرح مقاماته.

وهذا يعني شهرة المقامات بين البلدان العربية والاسلامية، ووجود النقاش الدائر بشأنها، فرأها ياقوت في مدينة آمد، وناقش شميما الحلي بشأنها. أما شروح المقامات فهي كثيرة تجاوزت واحدا وأربعين شرحا، تنوعت وفق توجهات الشراح وبلدانهم وسنوات وفياتهم، وأقدم شرح



وجدناه عراقى شرح المقامات في حياة الحريري

وهو ابن حميدة المتوفى «ت ٥٥٠هـ».

وذكر حاجي خليفة أن أحد الشراح قرأه على

الحريري حين قال: محمد بن علي بن عبد الله،

أبو عبد الله الحلي «ت ٥٦١هـ» كتب شرحا وقرأه

على مؤلفها الحريري.

فهل يقصد أنه قرأ المقامات على الحريري ثم

شرحها فيما بعد أم أنه شرحها في أواخر حياة

الحريري وقرأ الشرح عليه.

وتنوع الشراح في انتماءاتهم فكثير منهم من

العراق وفيهم المصري، والشامي، كما عني

بشرحها المغاربة؛ من الأندلسيين والمغاربة

والتونسيين كما يتضح من ألقابهم.

وامتدت الشروح من عصر الحريري نفسه

ونشطت في القرن السادس والتاسع. ولم يكتف

بعض الشراح بشرح واحد وإنما كتبوا شرحين

أو ثلاثة، وكانت بعض الشروح مختصرات

وبعضها مطولات فكان شرح الطيبي في ٦٠

جزءاً إلى المقامة الرابعة والعشرين.<sup>(٢٧)</sup>

## ٢- ابن الخشاب:

هو أبو محمد عبد الله بن أحمد بن أحمد بن أحمد

بن عبد الله بن نصر، بغدادى المولد والمنشأ

والوفاة.<sup>(٢٨)</sup>

ولد سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة، وتوفى سنة

سبع وستين وخمسائة ودفن بباب حرب، خلف

قبر بشر الحافي.

قيل عنه: كان أعلم أهل زمانه بالنحو، حتى يقال

إنه كان في درجة أبي علي الفارسي، بل قيل إنه

فاقه، وأن قوما من نحاة بغداد يفضلونه على

أبي علي الفارسي، زعموا أنه كان يعرف جميع

ما عرفه أبو علي الفارسي، وزاد عليه في علم الأدب

وغيره، لتفننه في جميع العلوم.

جمع كتباً كثيرة، وقرأ عليه الناس وانتفعوا به،

وخرج به جماعة، وكان من انصرافه للقراءة

والبحث أنه قلما يخلو كُفَّهُ من الكتب وأنواع

العلوم، وكان بينما هو يمشي في الطريق يخطر

بباله قراءة شيء، فيجلس كيفما اتفق، ويخرج

الدفاتر، فيطلع فيها.

أخذ العلم عن علماء عصره، كالجواليقي وسلامة

بن عياض الكفرطابي<sup>(٢٩)</sup>، وأبي بكر المرزوقي

وأبي بكر الأنصاري- وذكر جماعة من أهل

الحديث منهم الحافظ أبو عبد الله محمد بن

محمد بن النجار أنهم قرأوا عليه جزءاً من أمالي

أبي الحسن محمد بن محمد البزار.

وقد قرئت عليه أحاديث، وقرأ هو كتباً في الحديث فقال إعجاب المتلقين، فقد قيل عن الإمام أبي شجاع عمر بن أبي الحسن البسطامي قال بيخارى:

لما دخلت بغداد، قرأ عليّ أبو محمد ابن الخشاب كتاب غريب الحديث، لأبي محمد القتيبي قراءة ما سمعت قبلها مثلها في السرعة والصحة، وحضر جماعة من الفضلاء سماعها، وكانوا يريدون أن يأخذوا عليه فلتة لسان، فما قدروا.

وكان من شدة تعلقه بالعلم راغبا في مثل هذه القراءات على العلماء مستغلا أي فرصة تسنح له، لكن هذه الرغبة دعت أحيانا إلى معاداة بعضهم، كما ذكر عن ابن الشجري الذي كان إماما في اللغة والأدب والنحو، أنه لما انتهى من إملاء كتابه «الأمالي» - في أربعة وثمانين مجلسا - حضر إليه ابن الخشاب والتمس منه سماعه عليه، فلم يجبه إلى ذلك فعاده وردّ عليه... إلى آخر الخبر. (٣٠)

فهل كان رفض ابن الشجري لقراءة ابن الخشاب عليه لنفور كان بينهما، أم أنه أراد أن يتجنب ما يمكن أن يتوقعه من ابن الخشاب من نقد كتابه؟ وفعلا ردّ ابن الخشاب على ابن الشجري في مواضع من الكتاب، فوقف أبو السعادات على

ذلك الرد، فردّ عليه، وبين وجوه غلظه، وجمعه في كتاب سمّاه «الانتصار». (٣١)

وصف ياقوت الحموي ابن الخشاب بأنه كان حسن السيرة، سالكا طريق الأوائل في هديه وسمته. لا يتكلف في شيء من أمر ملبوسه وهيئته، وذكر في موضع آخر بأنه كان ثقة في الحديث، صدوقا نبيلاً حجة، ومع ذلك نسمع منه وصفا آخر لا يتلاءم مع هذا المديح، بل ويتناقض معه، إذ يقول مكمل العبارة «إلا أنه لم يكن في دينه بذلك» فكيف تجمع في شخص صفات النبيل والثقة والصدق مع الطعن بالدين؟ لا نظن إلا أنه أراد الطعن ببعض سلوكياته، فقد عرفت في ذلك العصر أعراف إجتماعية، وهي ليست دينية حتما. من هذه الأعراف عدم مخالطة العامة، أو مشاركتهم ألعابهم وتسلياتهم، لأن للعالم شروطا تقتضي سمة الوقار وعدم التبذل، وابن الخشاب كما وصفوه: قليل المبالاة بحفظ ناموس العلم، يلعب بالشطرنج مع العوام على قارعة الطريق، يقف في الشوارع على حلق المشعوذين واللاعبين بالقرود والدباب؟، كثير المزاح واللعب، طيب الأخلاق.

يبدو أن لابن الخشاب نظرة ورأيا في مجالسة





العوام وتفضيل مجالسهم على مجالس الخاصة. وكان رؤساء زمانه ووزراؤه يودون مجالسته، ويتمنون سماع محاضراته، فيتركهم، ومما عابه الناس عليه أيضاً أنه كان يذهب إلى الرحبة أو إلى شاطيء دجلة، فيقف على حلق أرباب الحكايات والشعبذة وما ناسبهم. وفي كل هذه المخالطة له رأيه الواضح، فكان إذا لامه الناس أو العلماء يرد عليهم بقوله:

إنه يندر منهم نوار لا يكون أحسن منها، ولا ألطف، في صحة قرائحهم وتصديهم لما هم بصدده وتراح النفس لذلك.

ومما يقربنا من شخصيته المخالفة لشخصية أقرانه إنه كان يعجب بمناداة عامة بغداد على معاشهم، وتفننهم فيها، وإتيانهم بالمعاني الغريبة، وكان يقول: كم خلف هذا الطرازانات<sup>(٣٢)</sup> من الخواطر المظلومة لو اشتغلت بالعلوم برزت على العلماء، ولو أنه اتبع منهج الجاحظ في تسجيله لأخبار العامة ونواديرهم، لأفادنا كثيراً، ولسجل الشيء الكثير من لغتهم ومفرداتها.

ويحكي ياقوت أنه سمع عن عدد كبير لا يحصيه، بأنه كان يعتم العمّة فتبقى أشهراً معتمة حتى

تتسخ أطرافها من عرقه فتسوّد، وكان إذا رفعها عن رأسه، ثم أراد لبسها تركها على رأسه كيف اتفق، فتارة تجيء عذبتها من تلقاء وجهه، وتارة عن يمينه، وتارة عن شماله، فلا يغيّرهما، فإذا قيل له في ذلك يقول: ما استوت العمامة على رأس عاقل.

أما ما عرف به من مزاح، فإننا نجد أخباره مبنوثة في سيرته، من ذلك أن شخصاً سأله وعنده جماعة من الحنابلة: أعندك كتاب الجبال؟ فقال له: يا أبله، أما تراهم حولي.<sup>(٣٤)</sup>

وقد يقسوعلى أصحابه في النادرة التي يسوقها، أو التعليق الذي يبادر ذهنه، خاصة إذا كان بينه وبينهم شيء من المجافاة، فقد كان بينه وبين ابن الشجري شيء من المناكفة، وألف في الرد عليه، وكان من أصحاب ابن الشجري محمد بن علي العتابي النحوي، فاتفق أن أهدي «ملك كيس» هدايا في جملتها حمار عتابي، فجعل من حضر مجلسه يتفاوضون في أمره، ويعجبون من حسنه فقال: ياقوم، لا تعجبوا من الحمار العتابي، فهو ذا عندنا عتابي حمار، فلا تعجبوا منه.

وقد أخذ عنه جماعة كبيرة صاروا فيما بعد أئمة من اللغة والعلم، منهم تاج الدين الكندي، أبو

اليمن زيد بن الحسن "توفي سنة ٦١٣ هـ".<sup>(٣٥)</sup>  
وأخذ النحو عنه العلامة العكبري.<sup>(٣٦)</sup>  
وقرأ عليه مكي بن زيان الماكسيني.<sup>(٣٧)</sup>  
وجالسه العالم ابن الدهان ببغداد.<sup>(٣٨)</sup>  
وصفت مكتبته بأنها كانت تضم جزازات  
ودفاتر.<sup>(٣٩)</sup>

وقد ترك ابن الخشاب جملة من المؤلفات، أشهرها  
ردود على علماء عاصرهم، أو شروح مؤلفاتهم،<sup>(٤٠)</sup>  
وذكر أن له ردودا كثيرة، لم تتم إذا تأملها العالم  
عرف موضعه من العلم<sup>(٤١)</sup> وأولها استدرأكاته  
على مقامات الحريري.<sup>(٤٢)</sup> ونستعيد ما قيل إن  
له صفة عظيمة ملأى دفاتر وجزازات ومما  
يؤكد احتمال وجود مؤلفات له لم تصل إلينا أو  
لم يكملها وجود نقول عنه ينص أصحابها أنهم  
قرأوا بخط ابن الخشاب، ويذكرون الخبر الذي  
قرأوه<sup>(٤٣)</sup>

### ٣- ابن بري<sup>(٤٤)</sup>:

هو أبو محمد ابن أبي الوحش عبدالله بن بري  
بن عبد الجبار المقدسي أصلا، المصري المولد  
حيث ولد بمصر سنة ٤٩٩ هـ.

عرف بابن بري النحوي اللغوي الأديب، كان  
لغويا نحويا شائع الذكر، مشهوراً بالعلم.

وذكر أن سمعته شاعت واشتهرت، ولم يكن  
للمصريين ممن تقدم أو تأخر مثله. وقال عنه  
السيوطي: كان قيما باللغة والنحو والشواهد.<sup>(٤٥)</sup>  
قرأ كتاب سيبويه على أبي بكر محمد بن  
عبد الملك الشنتريني المغربي النحوي.<sup>(٤٦)</sup>  
وحين قدم عبد الجبار بن محمد المعافري مصر  
قرأ عليه ابن بري وتصدّر للإقراء في جامع  
عمرو بن العاص، توفي في مصر سنة اثنتين  
وثمانين وخمسائة.<sup>(٤٧)</sup>

وصف بأنه كان حذقا حسن الجواب عما يسأل  
عنه، وموضع المسائل من العلماء ما يتعجب  
منه عمل في ديوان الإنشاء وكان عمله يقتضي  
تصفح ما يكتب في ديوان الإنشاء ويصح  
الغلط واللحن. ويقال إن صاحبه ابن بابشاذ  
الذي تصدّر قبله العمل في ديوان الإنشاء قد  
ترك له ما عرف بين النحاة بـ "تعليق المعرفة"  
التي يقال لو أنها بيّضت قاربت خمسة عشر  
مجلدا.<sup>(٤٨)</sup> ويقال إن كل من تنتقل إليه هذه  
التعليقة يعهد إليه بحفظها. لا بد أن تكون هذه  
التعليقات في التصحيحات اللغوية.

وكانت عنايته التامة في تصحيح الكتب، وكتابة  
الحواشي عليها بالأحمر. يقول ياقوت الحموي:



مشاركة مع كونهما من بلدين مختلفين، أهم هذه الصفات إهمال المظهر وعدم العناية بالملبس والنظافة. فقد كان مع علمه وغزارة فهمه، ذا غفلة وسلامة صدر، وكان وسخ الثوب، زري الهيئة واللبسة. وتحكى عنه حكايات عجيبة منها أنه اشترى لحما وخبزا وبيضا وحطبا، وحمل الجميع في كفه، وجاء الى منزله فوجد أهله قد ذهبوا لبعض شأنهم والباب مغلق، فتقدم إلى كوة هناك تفضي إلى داره، فجعل يلقي منها الشيء بعد الشيء، ولم يفكر في كسر البيض وأكل سنانير اللحم إذا خلت به.

ومما نقل عن غفلته أن بعض المصريين قال: كنت يوما أسير مع الشيخ محمد بن بري، وقد اشترى عنبا، وجعله في كفه، يحادثني وهو يعبث بالعنب، ويقبضه حتى جرى على رجليه، فقال لي: تحسُّ المطر؟ فقلت: لا. فقال لي: فما هذا الذي ينقط على رجلي؟ فتأملتُه فإذا هوماء العنب، فأخبرته فمضى واستحيا. وعدّه الدلجي من المفلوكين.<sup>(٥٥)</sup>

#### بين نقد ابن الخشاب ورد ابن بري:

توجه هذان العالمان الى المقامات التي كتبها الحريري، استدرك الأول على كاتب المقامات

فإذا رأيت كتابا قد ملكه، فهو الغاية في الصحة والاتقان "ولا ندري إن كانت ردا على استدركاته على الحريري أو على كتاب آخر من ردود ابن الخشاب" وله حواش على كتاب الصحاح للجوهري.

ذكر من تلاميذه عيسى بن عبد العزيز بن يلبخت الجزولي النحوي، لقيه بمصر وأخذ عنه النحو واللغة والأدب، وقرأ عليه الجمل، وسمع عليه صحيح البخاري.<sup>(٤٩)</sup>

ويقال إن الملك العزيز ابن صلاح الدين - وكان نائبا عن أبيه في الديار المصرية سمع منه وأخذ العلم عنه.<sup>(٥٠)</sup>

وأخذ عنه أيضا الأفضل الأيوبي ابن صلاح الدين<sup>(٥١)</sup>

وأخذ عنه النحو من توجه فيما بعد إلى القضاء مثل مهلب البهنسي بن الحسن بن بركات، فقد قيل: عنه أنه ولي القضاء أيام العلوية، وبقي إلى انقراضها.<sup>(٥٢)</sup>

وأخذ عنه ابو العباس ابن حطيئة، وكان ثقة. وكان الجزولي من تلامذته،<sup>(٥٣)</sup> ويقال إنه نقل عنه كثيرا في كتابه الذي سماه المقدم.<sup>(٥٤)</sup> ويبدو انه كانت بينه وبين ابن الخشاب صفات

ورد الثاني عليها.

وابن الخشاب هنا ينظر نظر الناقد المنصف الذي ينظر الى العمل الإبداعي بمجموعه، وليس بإحصاء أخطائه، وهو متأكد في الوقت نفسه بأن الحريري لو روجع فيها، لأقرّ بخطئه، ويريد بهذا ان من واجبه أن يسجل ما رصده من أخطاء أو تعابير يراها مجانية للصواب مادامت المقامات قد انتشرت بين الناس ولا مجال للمراجعة.

لم يكن نقد ابن الخشاب منصرفا الى اللغة فحسب- كما يتوقع- لكونه عالما لغويا ونحويا ضليعا، إلا أنه انصرف الى نقد كل ما استوقفه من قضايا قد تتعلق بالقرآن الكريم أو اللغة أو الصرف. ولم يكن ابن الخشاب متعجلا في نقده للحريري، فأغلب نقده يسوق له الدليل والحجة.

#### ابن الخشاب ناقد موضوعي:

ويلفت ابن الخشاب الانتباه إلى ان العمل الإبداعي المتميز هو الذي يثير الانتباه، ويحفز على النقد بتعبيرنا المعاصر. ولم يتحرج ابن الخشاب من أن يبدي رأيه فيما رآه مخالفا للصواب لغة أو تركيبا أو معنى. وهذه المواقف النقدية لا تمنعنا من القول إن له شطحات انفعلة فيها وشدد نقده للحريري. وقد ظهر هذا في اتهامه بالتسلط على عبارات الجاحظ في مقدمة كتابه البيان والتبيين، وساق نقده بسخرية طريفة بأنه إنما أغار على ابن بلدته فالجاحظ بصري والحريري بصري أيضا، ولا حرج على ابن الحريري؛ فإنه أغار على بلديّه ولم يحل حبوته في غير نديّه اقتداء بقوله:

يذكر ابن الخشاب في مقدمة نقده بأن الحريري حين قدم بمقاماته بغداد سنة أربع وخمسمائة، وأخذ المقامات عنه البغداديون، وكان بها إذ ذاك بقية من الموسومين بعلم الأدب، والطالبيين لكلام العرب، فلم يتعلقوا عليه فيها عند سماعها «بمنكر» منه، إلا بلفظة واحدة نازعوه فيها، وخرجوا معه على السواء؛ لأنها وقعت في كتب اللغة على خلاف فيها وهي:

«النهار» فرخ الحباري، «الليل» فرخ الكروان. ولكن ابن الخشاب استطاع بعلمه وتدقيقه أن يجد مأخذ غيرها، مقرا أنها لا تقلل من جهد الحريري الإبداعي، وأن أخطائه قليلة إذا قيس بصوابه، ومامر من المحاسن في أثناء كتابه.





## وأحيانا على بكر أحيانا

### إذا ما لم نجد إلا أحيانا

وإذا كان ابن الخشاب قد أعلن بأن مساويء عمل الحريري ليست بشيء إذا قورنت بمحاسنه، فإنه انفعّل في موضع آخر حين بالغ باتهامه بأنه قد «خطف أكثرها من مواضع يدلّ تهديه إليها على فضل بارع، ولم يكن رحمه الله مدفوعا عن فطنة ثاقبة، وغريزة في التلفيق مطاوعة مجاوبة».<sup>(٥٦)</sup> وترك هذه الأحكام السريعة التي لا تسوّغ إلا بما عرف به من حدّة في الطبع، لنقف عند نقده الموضوعي ورد ابن بري عليها.

لقد تنوعت نقود ابن الخشاب وردود ابن بري عليها.

وتدخل كثير منها في باب التصويب اللغوي و النحوي أو الصرفي، وتندرج الأخرى في دلالات الألفاظ والمعاني التي قصدتها الحريري قصدا، وفهمها ابن الخشاب فهما خاصا ووجهها ابن بري توجيهها آخر، بما يعضد المعنى الذي أرادته الحريري، وفي كلا التوجيهين نجد قدرة العالمين الجليلين في الإدلاء بالشواهد والأدلة دفاعا عن الرأي، وتثبيتا له.

ويبدو أن ابن الخشاب راجع أكثر من نسخة أو بتعبيرنا المعاصر أكثر من إصدار للمقامات فلا نعجب إذا وجدنا في نقده ما يصرح بمراجعته أكثر من نسخة .

من ذلك قوله مصرحا بتغاير نسختين من نسخ المقامات في نص غيره الحريري بنفسه، حين قال:

ومن أخرى له في الخطبة، قال فيها فيما يقع في أكثر النسخ «الورقة»، وهي التي سارت عنه قبل التثقيف والتنقيح وهذا يعني أن الحريري عدلّ نسخا كثيرة من مقاماته بعد ان شاعت بين الناس والذي انتقده ابن الخشاب ما ورد في النسخ التي راجعها .

ذكر الحريري في تحميده ودعائه في الخطبة: فقلت وأنت أصدق القائلين: «إنه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين».<sup>(٥٧)</sup>

ظنّا منه أن المراد في هذه الآية الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم)، فبنى على هذا الظن "مدة"، ثم مضت عليه برهة بعد أن أخذت عنه المقامات وانتشرت، فعثر على أن ذلك، إنما هو وصف جبريل، عليه السلام، وهو المكين عند ذي العرش، فكرّر على النسخة مغيرا، اعتقادا منه

أنه اخطأ في الأول، وكيف؟ وقد غرّبت وشرّقت، وأشأمت وأعرقت، وكان تغييره في النسخة الثانية.

وقد راجعنا فعلا أكثر من نسخة خطية فوجدناها من الإصدار الأول أي قبل التغيير الذي عمد إليه الحريري.<sup>(٥٨)</sup>

أما ابن بري، فله رأي آخر ردّ فيه على ابن الخشاب، وانتصر لرأيه، يتمثل فيما يأتي:

١- أن الرجوع عن الوجه الضعيف إلى الوجه الأقوى ليس غلطا، بل هو فضيلة.

٢- لا يمكن القطع بان الحريري لم يمرّ به جواز الوجه الاول من كتب التفسير، وإنما تركه لأنّ أكثر أهل التفسير على خلافه، فعدل إلى ما ليس فيه خلاف عند أحد من الناس؛ ويقوي ذلك أنه إذا أنكر عليه في الوجه الاول، فلا بدّ له أن ينظر في كتب التفسير؛ لينظر هل الأمر على ما ذكر أم على غيره؟

٣- إن الحريري عدل عن رأيه حين رأى أنه الوجه الذي لم يختلف فيه.

٤- لم يكن قول الحريري في فهم تفسير الآية بدعا، إنما هو رأي قال به أكثر من مفسر.<sup>(٥٩)</sup> وفي المقامة الثالثة والأربعين، احتج ابن

الخشاب على عبارة الحريري: «المريخ قد ازدمل بنجاهه»

قائلا: كذا وقع في النسخة المقروءة: على نجاهه بالنون، ولا وجه للازدمال بنجاد السيف، لأنه لا يعم المتغطي المتلف عموم الثوب، فإن كان قال: ببجاهه إي بكسائه فهو الوجه

أما ابن بري فرأيه هو رأي ابن الخشاب بأن الصحيح بجاده، وليس نجاهه، ودفاعه عن الحريري بإنكار وجود الرواية الثانية قائلا:

الرواية بجاده بالباء لا غير، والذي ذكره ابن الخشاب «بنجاهه» بالنون غلط منه أو في النسخة التي قرأها<sup>(٦٠)</sup> وقد راجعت أكثر من طبعة للمقامات فما وجدت فيها رواية ابن الخشاب التي أقام نقده عليها، ولعل النسخة التي راجعها حدث فيها تحريف في الكلمة.

وقد يجمع ابن الخشاب بين نقد المعنى والنقد اللغوي، يظهر هذا في نقده لاستخدام الحريري للفظ الوفاض في قوله في المقامة الأولى:

«خاوي الوفاض، بادي الأنفاض»

فهو يرى أن الوفاض: جُمع وفُضة، وهي بمعنى الجُعبة، والزيد لا يكون في الجُعبة. هذا من حيث المعنى أما النقد الآخر فرآه في استعمال



صيغة الجمع استخدام المفرد، والموضع يقتضي الأفراد.

وينبري ابن بري مدافعا عن لغة الحريري بأن ما أنكره ابن الخشاب وارد في الحديث النبوي الشريف حين أمر (صلى الله عليه وسلم) بأن تجعل الصدقات في الأوقاف.<sup>(٦١)</sup>

وقد شرح الفراء الأوقاف بأنهم الذين مع كل واحد منهم وفضة، يلقي فيها طعامه وهي مثل الكنانة الصغيرة.<sup>(٦٢)</sup>

ويعلق ابن بري بأن نص الفراء يفيد بأن الوفضة التي يجعل فيها الزاد، وتكون الكنانة التي تجعل فيها السهام أيضا. فلا بد في الحديث من حذف مضاف تقديره: أمر أن تجعل الصدقة في ذوي الأوقاف "أو أهل الأوقاف"، ثم حذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه على حدّ قوله سبحانه وتعالى: «اسأل القرية»<sup>(٦٣)</sup> أي: أهل القرية.

وأورد ابن بري شرح ابن السيرا في لأحد شواهد الكتاب، بما يؤكد رأيه في معنى الأوقاف، وأنها مثل الخريطة تكون للفقراء يجعلون فيها أزوادهم.

قال: وزعموا أن أهل الصفة، كانت معهم

وفاض، ثم روى الحديث النبوي الشريف. أما اعتراض ابن الخشاب بشأن استعمال الحريري الجمع استعمال المفرد، فمردود عند ابن بري. وأنه تحكم منه، لأنه يجوز أن يكون<sup>(٦٤)</sup> معه وفضة فيها كعك، ووفضة فيها سويق ووفضة فيها تمرٌ ودقيق،، وأورد شواهد من القرآن الكريم تؤكد جواز استخدام الواحد استخدام الجمع.

ويبدو ابن بري متوسعا في نظراته الى دلالات الألفاظ على أكثر من معنى، فاعتراض ابن الخشاب على اطلاق الحريري لفظ الربع للدلالة على المكان، أنه أطلق في الكلام العربي على المنزل في الربيع خاصة، ولكن ابن بري يرد عليه بالشواهد الشعرية أن المربع هو اسم للمكان غير مقتصر على زمن الربيع فحسب، وفسر سبب من أطلقه على المنزل في الربيع خاصة، لأنه الأكثر ورودا في كلامهم، وإلا فإن المربع اسم للمكان الذي ينزل فيه القوم صيفا أو شتاء أو ربيعا، وأورد شواهد شعرية لذلك، وأنهم أيضا أطلقوا المربع اسما للزمان أيضا. وبذا تتسع دلالة هذا اللفظ، وفيه رد على ابن الخشاب، وانتصار للفظ الحريري.

ومن الالفاظ التي اختلف في دلالتها ما ورد في المقامة الخامسة عشرة قول الحريري " حتى كدت أُغِلطُ له في الكلام وأسعته بحمة الملام".

عدّ ابن الخشاب استخدام الحمة هنا غلطا من أغلاط العامة؛ لأن اللغويين يرون أن: إبرة العقرب والزنبور ما يلسعان بها. فأما الحُمَّة فهي سمهما أو ضرهما. ورأى ابن الخشاب هنا قصر الدلالة على الإبرة بينما تركيب الحريري لا يدل عليها، فهو فيما يبدو أضاف الحُمَّة الى الملام، وهذا تعبير مجازي، يريد به أنه يلذعه بلومه العنيف.

لكن ابن بري ردّ رأي ابن الخشاب من خلال قراءة أخرى فهم منها دلالة الحمة. منطلقا من إنكار ابن قتيبة إطلاق الحُمَّة على إبرة العقرب والزنبور، لأن الحُمَّة سمُّهما وضرُّهما، وإنما حُصِّصا العقرب والزنبور دون الحيّة؛ من قبل أن الحيّة لا إبرة لها، ولم يذكر «لسعة الحيّة بحمّتها».

ويقول أيضا: مؤولا فهم دلالة الحمة عند ابن الخشاب، بأنه ظنّ أن اللّسع لا يكون إلا للعقرب، فلهذا حمل الحُمَّة على أنها الإبرة، ولو بنى على أن اللّسع يكون للحيّة لم يحمل كلام

ابن الحريري على الغلط؛ لأن الحيّة لا إبرة لها. ووقف ابن الخشاب أكثر من وقفة على دلالة لفظ الخلاصة منها قول الحريري إن خلاصة الجوهر يظهر بالسك.

وقد خطأ ابن الخشاب الحريري ورأى أنه دائما يستعمل الخلاصة استعمال خالص الشيء، وليس الأمر على ذلك. خلاصة الشيء ما يلقي عنه بعد التخليص، فهي كالبرارية، والنحاتة، والقلامة والقمامة والنخاله والسحالة والقوارة، وبيّن أن الحريري مخطأ فيه.

أما ابن بري فهو كعادته متسامح في النظر الى دلالات الألفاظ، وترجيح كونها محتملة الدلالة على أكثر من معنى، فرأى أن قول ابن الحريري صحيح؛ لأن لفظه الخلاصة لفظة مختلف فيها من جهة المعنى، فذهبت طائفة إلى ما ذهب إليه الحريري. وذهبت طائفة إلى ما ذهب إليه ابن الخشاب.

قال الجوهرى:

«خُلاصة السَّمْن ما خلص منه؛ لأنهم إذا طبخوا الزبد؛ ليتخذوا منه سمنا طرحوا فيه شيئا من سويق أو تمر أو أبعاد غزلان، فإذا جاد، وخلص من الثفل، فذلك السَّمْن هو الخُلاصة.



والشاهد بصحته ما قاله الجوهري أنه يقال في الخلاصة الخَلاص أيضا، والخَلاص ما خُلاص من الذهب والفضة بعد السبك.

وأورد ابن بري قول الهروي في حديث سلمان أنه كاتبَ أهله على أربعين أُوقية خَلاص، الخَلاص ما أخلصته النار من الذهب،<sup>(٦٥)</sup> وكذلك الخَلاصة، فجعل الخَلاص والخَلاصة بمعنى واحد.

وذكر الفارابي في كتابه المعروف بديوان الأدب: الخَلاصة ما خُلاص من الذهب».<sup>(٦٦)</sup>

وإذا ثبتت صحة ذلك لم يكن لتغليب ابن الحريري وجه؛ إذ كان قوله موافقا لأقوال أهل اللغة الحذاق «المقامة الثانية والأربعون»

وقد يكون سبب الخلاف بين العالمين الجليلين اعتماد احدهما رأيا قاله اللغويون مثل وقوفهما على لفظ بصيغة البناء للمفعول، وحقه على رأي الخشاب البناء للمجهول، كقول الحريري:

«ومتى اخترع خرع، وإن بدَّه شَدَّه». استخدم الحريري لفظه شَدَّه على البناء للمفعول، وخطأه ابن الخشاب على رأي النحويين في كتب المختصرات، بأن اللفظ يستخدم على البناء للمجهول.

أما ابن بري فإنه يرى أن ما ذهب إليه ابن الخشاب معتمد على كتاب الفصيح لثعلب، وقد خطَّاه ابن درستويه؛ لأن الأصل في الأفعال كلها مفتوحة الأوائل في الماضي، فإذا لم يسم فاعلها فهي كلها مضمومة الأوائل، ألا تراه يقول: وقد بينوا ذلك في الكتب المختصرات يعني كتاب الفصيح، ولم يعلم بأن ابن درستويه أنكرا ما قاله ثعلب وغيره من أهل اللغة، وعامة أهل اللغة يزعمون أن هذا الباب لا يكون إلا مضموم الأول، ولم يقولوا أنه إذا سمي فاعله، جاز بغير ضم. وهذا غلط منهم، لأن الأصل في الأفعال الماضية بذلك بعضها دون بعض، وقد بينا ذلك بعلمته وقياسه، وذكر أنه يجوز عنيت بأمرك، وعناني أمرك، وشغلت بأمرك، وشغلني أمرك، وقد شدهني أمرك. فهذا الذي ذكره ابن درستويه تصحيح لقول ابن الحريري، وإبطال لقول غيره. وفي ذلك كفاية تغني عن زيادة بيان وإيضاح.

ووقف ابن الخشاب معترضا على استعمال الحريري لبعض الصيغ التي عدّها مخالفة للقواعد الصرفية المسموعة مثال ذلك في المقامة الحادية والعشرين اعترض ابن الخشاب على

تعبير الحريري:

أنه رديء في الاستعمال»، إذ لا يقول من له ذوق في صحة الاستعمال: يا فلان قد قضيتُ حقَّ رعايتك، وإن كان ليس بالخطأ. فاستعمال «حقا» غير خطأ، لكن ذوق الحريري لم يستغف.

من هنا كان ردُّ ابن بري معتمدا على الذوق أيضا، مادام جائزا في اللغة.

واعترض ابن الخشاب على بعالتي وردت عند الحريري متعدية وحقها اللزوم «المقامة السابعة عشرة»

وقد يكون اعتراض ابن الخشاب على الحريري لاستخدامه لفظا مخالفا لما قالته العرب في صيغة الجمع بصيغة لم تسمع عن العرب، حدث هذا في أكثر من موضع من المقامات من ذلك جمع الحريري للفظ سواد على أساود في قوله في المقامة الثانية والثلاثين «فإن سرق أساود الدار؟».

وهو مما اعترض عليه ابن الخشاب قائلا:

في الأسودة كما قدمت في الخامسة في قوله: فأحضرنا الدواة وأساودها وأنها جمع سواد، ولو سمع جمع أسودة في هذا على أساود، فيكون كأسقية وأساق، لم يمتنع إلا أنه يفتقر إلى

«ولا أدري أيُّ الجرادِ عارَه» لأنَّ العرب برأيه لا تستعمل هذا المثل إلا في المستقبل، ولا يستعمل الماضي منه كما تقول: ما أطَّت الإبل، وما وسقت<sup>(٦٧)</sup> عيني الماء، فرب كلام هكذا لهم موقوف على طريقة واحدة لا يجوز تعديها، ولا القياس عليها غير مصيب

أما ابن بري فيخطيء ابن الخشاب وأن قوله لم يرد عند أحد من أهل اللغة، وأن الأمر بالعكس من ذلك عندهم؛ لأنه لا يستعمل هذا المثل إلا في الماضي دون المستقبل؛ لهذا قال الأزهري: إن مستقبل عاره في هذا المثل قد أميت، فلا يستعمل<sup>(٦٨)</sup>

ويخطيء ابن بري ابن الخشاب في تصريحه الفعل وأن قوله إن المضارع منه يعاره غلط فاحش، وإنما مضارع عاره يعوره ويعيره أيضا إذا أخذه، وأما يعار، فإنما هو مضارع عار الظليم يعار إذا صوّت.<sup>(٦٩)</sup>

وقد لا يكون الاستعمال اللغوي مخطوءا، ولكن ذوق ابن الخشاب يرفضه مثل اعتراضه على قول الحريري شيعته قاضيا حقَّ الرعاية، ورأى أن إضافة «حق» إلى «الرعاية كلام معسول إلا



سماع؛ لأن جمع الجمع لا يقاس.

الخشاب.<sup>(٧١)</sup>

ورد ابن بري على هذا القول بأن الجمع على أساود لا يحتاج الى سماع، ويكفي أن ابن الأعرابي ذكره وحكى أن سواد الجمع على أسودة، ثم تجمع أسودة على أساود. فهذا نص على أنه مسموع.

ومن اعتراضات ابن الخشاب على الحريري جمعه بين الوجل والزجل بقوله: ثم أنشد إنشادًا وَجِلٌ بصوت زَجَلٍ.<sup>(٧٢)</sup>

رأى ابن الخشاب أن هذا الاستعمال رديء لأن الوجِل الخائف، والخائف عنده لا يصدر أي صوت، ومن ثم فالتركيب الذي يجمع بين الوجِل وإصدار الصوت «الزجل» فاسد.

ونص الجوهري وغيره على أن السواد الشخص والجمع أسودة ثم أساود جمع الجمع وأنشد للأعشى:

ورفض ابن بري هذا الرأي اعتماداً على أكثر من دلالة:

**تناهيتم عنّا وقد كان فيكم**

**اساودُ صرعى لم يؤسد قتيلاً<sup>(٧٣)</sup>**

إن الخائف قد تصدر عنه أصوات، باختلاف المواقف فلا إنكار على من وقف موقف وعظ وإنذار، ومخوفاً من عقاب الجبار أن يرفع صوته بإنذاره مع شدة خوفه، ووجله كما يشاهد من ركاب السفينة إذا أشرفت على الغرق، ولا شيء أخوف منهم، ولا أوجل لخوفهم على أنفسهم من الغرق والتلف، فهم يضجّون ويجأرون إلى الله بالدعاء وغيره. والجوار رفع الصوت في الدعاء. ورد في الحديث الشريف: أنظر إلى موسى وله جوار إلى ربه بالتلبية<sup>(٧٤)</sup> أي انظر إليه رافعا صوته بالتلبية.

يعني الأساود شخوص القتلى. وحكى الهروي في حديث سلمان: وهذه الأساود حولي أراد الشخوص من المتاع، وكل شخص سواد من إنسان أو متاع أو غيره. وحكى عن ابن الأعرابي أن سواد الجمع على أسودة، ثم تجمع أسودة على أساود. فهذا نص على أنه مسموع.

فثبت بهذا أنه ليس الخوف والوجل مما يباين

ورد ابن بري هنا يعتمد على اعتراض ابن الخشاب، فإذا كان الأخير يدعي افتقار الجمع الى السماع فإن ابن بري بحث عن نصوص تدل على سماع هذا الجمع، ليدحض اعتراض ابن

رفع الصوت، وإنما يباينه سقوط القوة أو مرض في آلة الصوت. ألا ترى أن المرأة الحامل إن أصابها الطلق، يضرب بها المثل في ارتفاع صرختها، وإن كانت خائفة وجلة على نفسها وولدها. وذلك في نحو قولهم:

### كصرخة حبلئ أسلمتها قبيلها<sup>(٧٤)</sup>

والقبيل هاهنا القابلة، وإذا أسلمت الحامل قابلتها كان أشد لخوفها ووجلها، فإذا تناول بها الطلق، وسقطت قوتها قل ارتفاع صوتها.

### قضايا نقدية

#### ١- الحقيقة والخيال:

لم يسم ابن الخشاب ولا صاحبه ابن بري هذين المصطلحين، ولكننا فهمناهما من خطبة كتاب الحريري التي ردّ عليها ابن الخشاب وذلك أن الأخير ذكر أن هناك من حاول الغمز واللمز في طبيعة عمله في المقامات، وأن منهم من طعن بدوافع كتابته للمقامات وجدواها، واكتفى بعبارة «ويندّد بأنه من مناهي الشرع»، وكأنه يريد أن يقول أن هناك من طعن بمقصدية عمله، وعدّه مخالفا للشرع. وكان ردّ الحريري أنها يمكن أن تسلك في مسلك الآداب التي وضعت على لسان الحيوانات، والتي لم

يجد أحدا عاب على مؤلفيها اعمالهم. والغريب أن ابن الخشاب يؤيد من يقول أن المقامات مخالفة للشرع، وأنها لا تماثل التأليف على لسان الحيوان مثل كليلة ودمنة، لأنه يرى أن الأخيرة من باب الخيال، فينطق الحيوان لتضرب على لسانه العبر والأمثال.

أما ما جرى على لسان الحارث بن همام وأبي زيد، فلا يمكن عدّهما خيالا فحسب، لأن من الجائز وجود مثل هاتين الشخصيتين في الحياة الواقعية، وهو بهذا يرفض أن تكون أحداث المقامات ضربا من الخيال. وهي كذب وقع به الحريري؟ ولم يردّ ابن بري على قول ابن الخشاب، لعله رأى رأيه غير قابل للنقاش، ولأنه معتقد حقا أنها عمل أدبي فيه شيء من الخيال وشيء من الواقع.

#### ٢- التناقض:

انتقد ابن الخشاب في أكثر من موضع التناقض الوارد في مواضع من المقامات، كجمعه بين النزاهة والاحتيال في شعر أورده في المقامة الأولى، يفتخر فيها بطل المقامات بأنه كان يمنع نفسه من الاحتيال على الناس، وأنه في بيت تال يفتخر بالتحايل للحصول على المال.



وكان رد ابن بري موافقا لرأي النقاد بشأن التناقض قائلًا وليس المعنى فيه على ما قاله ابن الخشاب، وإنما أراد أن الدهر ألجأه إلى السؤال والاحتيال، ولم يكن من أهل ذلك فيما تقدم، ألا تراه يقول قبل البيت:

**وَأَلْجَأَنِي الدَّهْرُ حَتَّى وَلَجْتُ**

**بَلَطَفَ احتيالي على اللَّيْثِ عَيْصَه**

**على أنني لم أهبُ صرفَةً**

**ولا نبضتُ لي منه فريضة**

وهذه مسألة نقدية وقف عندها قدامة بن جعفر ووقف عندها النقاد، وميزوا بينها وبين الاستحالة التي قد يوحي بها التناقض.<sup>(٧٥)</sup> ومما عدّه ابن الخشاب تناقضا ما ورد في المقامة الرابعة من وصف الحريري لنزوله مكانا ورفقته بعد أن نضا الليل شبابه، ثم ذكر أنه مع سكون الأصوات للنوم أو الراحة سمع مراجعة الرجلين وتناقضهما في الكلامين. وقد أخبر من قبل أنهم نزلوا للتعريس مع الصبح.

ثم قال: «فلما لاح ابن زكا، وألحف الجو الضيا». رأى ابن الخشاب ان التناقض يظهر في كلام الحريري بأنهم نزلوا للتعريس بعد انتهاء الليل، ثم ذكر أنه سمع نجوى الرجلين يتسرب اليه مع

الظلام. وابن زكا أيضا هو الصبح. وهذا فساد في الوضع، لأنه لا زمن هناك يستراح فيه، ولأنه على ما وصف أولا من انقضاء الليل بالسرى، يكون زمن النزول أقرب الى النهار من الزمن الذي أخذ يستقرىء فيه صوب الصوت الليلي ويؤكد ذلك أنه جعل الصوت ليليا، وأي ليل بقي مع أنه قد نضا الليل شبابه، وسلت الصبح خضابه. وهذا ظاهر الفساد، فتأمله ويؤكدّه أيضا قوله:

فعلمت أنهما نجيا ليلتي.

وهنا أيضا لم يرد ابن بري على نقد ابن الخشاب وفي المقامة الخامسة تلمّس ابن الخشاب معاني وردت فيها وعدّها تناقضا، من ذلك قوله واصفا ليلة: بأن أديمها ذو لونين، والليل الأليل، والليلة الليلاء لا تكون ذات ضوء البتة. ووصفها أيضا بأن جنحها أبيض بقمرها، وقد انقضى بقوله «رَوِّقَ الليل البهيم، ولم يبق إلاّ التّهويم». ولعله أراد جنح ليلة أخرى، وعد هذا تناقضا في التصوير، ووصفه بأنه بارد فاسد.

أما ابن بري فقد فهم التناقض فهما فنيا دقيقا ورأى تعبير الحريري صحيحا؛ لأنه لم يصف الليلة بأنها قمراء، بكون القمر فيها من أولها

إلى آخرها، وإنما ذكر أن القمر في أولها، ألا تراه يقول فيها: «قمرها كتعويدة من لجين»، وهو ما يجعل في قلادة الصبي وغيره. فهذا يقضي بأن القمر كان ابن أربع أو خمس، وإذا كان كذلك كان غروبه سريعاً، وإذا غاب القمر أقبل الليل بظلمته. فالليلة قمرء في أولها حتى إذا غاب القمر عادت سوداء، وأورد شواهد شعرية تؤكد رأيه.

وهذا تفسير وتأويل لطيف، ينفي وجود تناقض أو فساد في التصوير والتعبير.

ومن التناقض الذي رآه ابن الخشاب في تعبير الحريري بتركيب يدل على خلاف مراده وهو قوله «وتمادينا في الرحلة إلى أن أضعنا الزمان». فتمادينا في الرحلة ضد مراده ومقصده، لأنه يريد أنهم تمادى بهم المقام، والرحلة لو تمادت لكانوا في سفر متصل، وذلك مثل قولك تمادى فلان في غيه وضلالته، إنما تريد دام غيه وضلاله، لا أنه كان في غير الغي والضللال، وكذلك إذا قلت تمادى فلان في رحلته دامت رحلته، لا أنه كان في غير رحلة، وهي الإقامة، فطال زمن إقامته، وهو الذي قصده الحريري، فعبر بما يؤدي إلى ضد مراده، وهذا بين الغلط

بما كشفته وأوضحته.

وقد رد ابن بري على هذا الرأي بقوله: هذا جائز في اتساع كلام العرب على حذف مضاف تقديره: تمادينا في انتظار الرحلة، وجاء بشاهد من شعر جرير<sup>(٧٦)</sup> وقال إن هذا الحذف والتقدير كثير في كلام العرب والقرآن الكريم. وبذا لا يكون هناك تناقض في الدلالة «المقامة الرابعة».

### ٣- الاستعارة:

انتقد ابن الخشاب الحريري في أكثر من موضع الاستعارات الواردة في مقاماته، ويبدو أنه يحكم على الاستعارة وصحتها من خلال موافقتها للمألوف من كلام العرب. وهو في هذا النقد يساير نظرة النقاد العرب الملتزمين بما عرف بعمود الشعر العربي. الذي استقرت فيه المعايير التي يحكمونها في النظر الى القصيدة العربية، ومن بين هذه المعايير الاستعارة. وابن الخشاب طبق معايير الاستعارة المقبولة في الشعر على ما ورد من استعارة في مقامات الحريري وعيارها عند المرزوقي: مناسبة المستعار منه للمستعار له ويريدون بها قوة المشابهة بين طرفي الاستعارة اللذين هما في الأصل طرفا التشبيه. والعرب إنما تستعير





في كلامها المعنى إذا كان مقارباً أو مشابهاً للمستعار له في بعض أحواله إنما إستعارت المعنى لما ليس له إذا كان يقاربه أو يدانيه أو يشبهه في بعض أحواله أو كان سبباً من أسبابه، فتكون اللفظة المستعارة حينئذٍ لائقة بالشيء الذي استعيرت له وملائمة لمعناه. وحين أغرب أبو تمام وابتكر كثيراً من الاستعارات التي لم تعرفها العرب، ولم ترد في كلامهم عدّ خارجاً على عمود الشعر.

وابن الخشاب لم يستخدم عبارة عمود الشعر لأنه لم يكن ناقدًا للشعر، إنما هو ينقد الاستعارات الواردة في المقامات، ولكن من خلال نقده نفهم ذوقه في رفضه للاستعارة غير المألوفة.

فيصف في المقامة الرابعة قول الحريري «ولاحت الشمسُ في الأطمار»

بالاستعارة البعيدة. دون أن يبين سبب رفضه لها وما ملامح بعدها. ويبدو فعلاً أنه لم يستسغها لأنها لم ترد عند غيره بهذه الصورة. أما ابن بري، فإنه يقف عندها ويقول أن لا شيء أحسن من استعارة الأطمار للشمس عند غروبها، لأن الشفق قد صار عليها كاللباس لها

وهي تضيء فيه، فكأنها قد لبست أطماراً وهي الثياب الخلقان..

وانتقد الحريري استعارة أخرى وردت في المقامة الخامسة وهي قوله: فقضينا ليلة غابت شوائبها إلى أن شابت ذوائبها. وكذلك قوله في موضع آخر:

إلى أن شاب مفرق الدجى. يعني به أوائل الصباح.

هنا استعارة رفضها ابن الخشاب؛ لأن المؤلف في كلام الأدباء والشعراء في مثل هذه المواضع أن يستعيروا لأواخر الليل الأعجاز، ولأوائل الليل هواديه وتمثل بقول امرئ القيس:

«وأردف أعجازاً وناء بكلل»<sup>(٧٧)</sup> أما الحريري فقد استعار الليل الذوائب، ووصفها بأنها شابت أي ظهر بياضها، ورأى ابن الخشاب أن الذوائب في أعلى الرؤوس وليست في مآخبرها وبذا خالف الحريري في هذه الاستعارة المؤلف من كلام العرب الذين استعاروا لأواخر الليل الأعجاز.

ومع هذا الرفض وضع ابن الخشاب تأويلاً آخر يعطي وجهاً مقبولاً لقراءة الاستعارة إذا فهم منها أنه جعل الليل كالعمر له والشيب، إنما يكون في أواخر العمر « فعلى هذا تقرب

استعارته»

يباح للناثر، أو هو ما لخصه ابن الأثير بقوله:

ما يستحب في الشعر مكروه في النثر.<sup>(٧٨)</sup> وقد أباحوا للشاعر الخروج على القواعد الصرفية واللغوية وأحياناً النحوية. من هنا ما كانوا يبيحون للناثر هذه الضرورات؛ لأن أسلوب النثر يمنح المترسل حرية اختيار الألفاظ والعبارات، فلا يضطر فيها إلى الضرورات التي يلجأ إليها الشاعر لكننا نجد وقفة نقدية مهمة في هذا الشأن وقفها ابن بري راداً على ابن الخشاب في واحد من استدراكاتة.

عاب ابن الخشاب على الحريري قوله: فألفت بها أبا زيد يتقلب في قواليب الانتساب، ويخبط في أساليب الاكتساب. ورأى أن القواليب خطأ وصوبه القواليب، وأن العرب لا تستعمله إلا في الضرورة، وهذه الضرورة مباحة للشاعر دون الناثر.

وأورد شاهد الفرزدق الذي تمثل به النحاة:

**تنفي يداها الحصى في كل هاجرة**

**نفي الدّراهم تنقاد الصياريف<sup>(٧٩)</sup>**

وقول أبي الطيب:

**أفدي ظباء فلاة ما عرفن بها**

**مضغ الكلام ولا صبغ الحواجيب<sup>(٨٠)</sup>**

أما ابن بري فرأى أن هذه الاستعارة من أحسن الاستعارات، وأن من ينكر حسنها ينكر غير منكر كما يقول.

وناقش ابن بري إنكار ابن الخشاب لاستعارة الحريري لفظ العول للزيادة في قوله في المقامة الحادية والعشرين " حتى كادت الشمس تزول، والفريضة تعول " ووصفها بأنها استعارة غير مستحسنة، وانها باردة في التأويل.

والعول من ألفاظ الفرضيين وناقش ابن بري ابن الخشاب بتأويله نفسه، بأن الحريري لم يرد بالعول زيادة في الوقت، وإنما زيادة الوقت، هي التي أعالت الفريضة؛ ركعتين على الركعتين اللتين هما فرض الجمعة.

#### ٤- الضرورات الشعرية والنثرية:

الضرورة الشعرية مصطلح شاع على السنة النحاة واللغويين والنقاد قديماً، ويريدون به خروج الشاعر في مواضع من أشعاره على القواعد والأنظمة اللغوية والصرفية، وأباحوا له هذا الخروج معللين بتقيده بالوزن والقافية اللتين تضطرانه إليه؛ ليستقيم له الشعر، وبنوا على هذا قاعدة أخرى، وهي: يباح للشاعر ما لا



كقولهم في صفة ليالي القمر: ثلاث دُرْع وكان  
قياسه دُرْع بسكون الراء، وإنما حركوها إتباعا  
لقولهم ثلاثُ غُرْرٍ وثلاثُ ظُلْم.

- إباحة التنوين كما أباحوه في الشعر، كما  
حذفوه في الشعر فقالوا شهر تَرى، وشهرُ تَرى،  
وشهر مرعى، فحذفوا التنوين من تَرى ومرعى  
إتباعا لقولهم تَرى.

- إباحة الإبدال، كما أباحوه في الشعر، فأبدلوا  
الهمزة ألفا في نحو قولهم: أنكحنا الفراء فسترى،  
فأبدلوا همزة الفراء ألفا إتباعا لقولهم سترى.

- إباحة إبدال الحرف المضاعف ياء كما أباحوه  
في الشعر نحو قولهم: الضيح والريح، فقلبوا  
الحاء ياء في الضيح، وكان أصله الضحّ بحاء  
مشددة؛ إتباعا للريح.

- إباحة إبدال الواو ألفا كما في قوله عليه الصلاة  
والسلام: «إرجعن مأزورات غير مأجورات»  
فأبدل الواو في موزورات ألفا؛ إتباعا لمأجورات.

وتابع ما وجد في القرآن الكريم من ظواهر  
أسلوبية تتمثل فيها:

- الزيادة مثل قوله جلّ وعز: «فأضلونا  
السبيلا»<sup>(٨٢)</sup>

و "تظنون بالله الظنونا" فزيدت الألف كما

فالدراهم والحواجيب لفظان مخالفان  
للقاعدة الصرفية وصوابهما الدراهم والحواجب  
ولكن الشاعرين اضطررا إليها وأبيح لهما هذا  
الاضطرار. ويؤكد ابن الخشاب ما ذهب إليه  
اللغويون من عدم إباحته في النثر قائلا:

ولا خلاف بينهم أن استعمال مثل هذا في الكلام  
المنتثر لا يجوز، وإنما يجيء في ضرورة الشعر  
قليلا<sup>(٨١)</sup>، وتجاوز هذا إلى ما يمكن للشاعر من  
وسائل التعبير كأن يلجأ إلى الحذف والزيادة  
والمد، وكل هذا غير مباح للنثر.

أما ابن بري فيقرر قاعدة أخرى يخالف فيها من  
سبقه من النقاد واللغويين وهي قاعدة منبثقة  
عن طبيعة ما تطور إليه النثر العربي، وهي  
تقيده بنوع خاص من السجع الذي يمثل قيда  
أيضا يضطر الناثر إلى الخروج فيه عن القاعدة  
اللغوية، فأباح للناثر اللجوء إلى الضرورات التي  
يلجأ إليها الشاعر:

إعلم ان للسجع ضرورة في النثر تضاهي  
ضرورة الوزن في الشعر من الزيادة والنقصان  
والإبدال وغير ذلك. وتابع هذه الضرورات في  
منافذ منها:

- تحريك الساكن كما يحركونه في الشعر،

زادوها في الشعر على جهة الاطلاق

بري قول الحريري:

- النقص. منها قوله جلّ وعزّ "والليل إذا يسر"،  
حذفت الياء من يسري، إتباعا للوتر، وما تقدمه.  
- الحذف مثل الياء من قوله جلّ وعزّ: «رب  
أكرمن»<sup>(٨٥)</sup> و"رَبِّي أَهَانَن" <sup>(٨٦)</sup>، كما تحذف في

الشعر كقول الشاعر:

**وهل يمنعني ارتياد البلا**

**د من حذر الموت أن يأتي**<sup>(٨٧)</sup>

في هذا الموضع أيضا يرى ابن بري أن ضرورة  
السجع في النثر كضرورة الوزن في الشعر ولما  
وجب إسكان الياء لإقامة الوزن، كذلك وجب  
إسكانها؛ لإقامة وزن السجعة فهذا مما يسامح  
به ابن الحريري، وله فيه شهادة مقبولة.

وبعد ذكر ابن بري للشواهد النثرية والقرآنية  
خاصة التي حدث فيها تغيير في الأسلوب المعتاد  
والقواعد المقررة، وطراً عليها حذف او زيادة  
او نقص يقرر القاعدة التي رأها مسموحا  
بها في النثر مثل ما سمح بها في الشعر، وهي  
الضرورة، ولنسمها الضرورة الأدبية. هنا يقرر  
هذه القاعدة بقوله:

فإذا ثبت هذا، فلا إنكار على ابن الحريري "في

إتباع الكسرة ومطلها في قوالب إلى قواليب؛

لتوافق سجعها التي هي أساليب، كما يفعل

ذلك في الشعر نحو قوله:

**تنفي يداها الحصى في كل هاجرة**

**نفي الدراهم تنقاد الصياريف**<sup>(٨٨)</sup>

ومن ضرورات النثر «السجع» التي أباحها ابن

واحتج ابن بري بفواصل القرآن الكريم التي  
نزلت بمنزلة القوافي وذلك في مثل قراءة من قرأ  
«والليل إذا يسر»، بحذف الياء في الوقف، لتتفق  
أواخر الفواصل عند الوقوف على الراء- فيقرأ  
«والفجر وليال عشر، والشفع والوتر، والليل إذا  
يسر»<sup>(٨٩)</sup>

**٥- نقد الأساليب:**

أستخدم الحريري أساليب وردت في كلام  
العرب على صيغ معينة وأساليب شائعة بتغيير  
دلالتها من خلال إجراء تغيير في أسلوبها، كأن  
يستخدمها في الإثبات، والجاري فيها النفي.  
مثال ذلك ما ورد في المقامة الحادية والعشرين:



«وَمَا حَلَّتْ بِالرِّيِّ، وَقَدْ حَلَّتْ حَبَى الْغِيِّ، وَعَرَفْتَ الْحَيَّ مِنَ اللَّيِّ».

قال ابن الخشاب إن أهل اللغة نصّوا على أن قولهم: فلان لا يعرف الحيّ من الليّ، وما جرى مجراه من قولهم: لا يعرف هرا من بر، من الألفاظ التي لا تستعمل إلا في الجحد، ولا يجوز أن تستعمل في الإيجاب، فكما لو قال: هو يعرف الهرّ من البر لم يجز، وكذلك عرفت الحيّ من الليّ، وهو مشهور في كتب اللغة<sup>(٩٠)</sup>

أما ابن بري فقد أجاز تغيير هذا الأسلوب من النفي إلى الإثبات، ورأى كلام الحريري صحيحا لأنه أراد معرفة التفسير لهاتين اللفظتين، وهما الحي واللي.

والحي الكلام الظاهر، واللي الكلام الخفي، أي عرفت بين الكلام من خفيه من قولهم: ما يعرف الحي من اللي، وكذلك لو قيل: فلان يعرف الهرّ من البر، بمعنى انه يعرف تفسيرهما كان جائزا، ألا ترى أنه إذا قال قائل: والله ما يعرف فلان الحي من اللي، ولا الهر من البر، ولا القبيل من الدبير، فأردت تكذيبه قلت: والله، إنه ليعرف الحي من اللي، ويعرف الهر من البر، ويعرف القبيل من الدبير، أي يعرف معاني هذه الألفاظ

المستعملة في النفي.<sup>(٩١)</sup>

وقد اعترض ابن بري على رأي ابن الخشاب ورأى أن الحريري مصيب فيه، لأنه يريد عرفت بين الكلام من خفيه، من قولهم: ما يعرف الحي من اللي، وكذلك لو قيل: فلان يعرف الهرّ من البر، بمعنى انه يعرف تفسيرهما كان جائزا، ألا ترى أنه إذا قال قائل: والله ما يعرف فلان الحي من اللي، ولا الهر من البر، ولا القبيل من الدبير، فأردت تكذيبه قلت: والله إنه ليعرف الحي من اللي، ويعرف الهر من البر، ويعرف القبيل من الدبير. وقد تبنى الشريشي هذا التوجيه، ورأى أن الحريري تجوز فيه، فالحي مدح واللي ذم، فكأنه إذا قال: عرفت الحي من اللي إنما قال عرفت الخير من الشر، وما يضر وما ينفع.<sup>(٩٢)</sup>

ومن الأساليب التي نقدها ابن الخشاب ما يتعلق بنقد صورة فنية، وذلك في قول الحريري:

«فاعتقبتّه أخطو متقاصرا وأريه لمحا باصرا» فهم ابن الخشاب بأنه يتقاصر لئلا يراه في اتباعه إياه، وهذا لا ينسجم مع قوله «أريه لمحا باصرا» أي يتأمله تأملا شديدا ونظرا بتحديق لكي لا يفوت بصره. ومن خلال هذا الشرح تبدو الصورة متناقضة غير منسجمة في نظر

ابن الخشاب.

«٦٢٩هـ» كتابا أسماه الانتصاف بين ابن بري

وابن الخشاب في كلامهما على المقامات.<sup>(٩٤)</sup>

وقد بحثت عن نسخة للكتاب فلم أوفق، وأخيرا وجدت إعلانا عن نسخة له في جامعة برنستون في أمريكا، وكاتبتهم بشأنه وفي انتظار ردهم بإذن الله.

أما ابن بري فقد قرأ الصورتين بما لا يوقعهما في التناقض أو عدم الانسجام؛ لأنه أراد أني أخطو خلفه متقاصرا، وأتبعه نظرا بتحديق لئلا أضلُّ عنه بتقاصر خطوي، فيفوتني. فالمتقاصر على هذا أشد تحديقا من غير المتقاصر.<sup>(٩٣)</sup>

#### ٦- السرقات :

وفي العصر الحديث وقف أكثر من باحث عند نقد ابن الخشاب ورد ابن بري عليه، ووقف معظمهم مع ابن الخشاب فمحمد بهجت الأثري رأى أن انتقادات ابن الخشاب غاية في القوة والأصالة، وإن ناقشه ابن بري.<sup>(٩٥)</sup>

وهناك مواضع لم يرد عليها ابن بري، لعله لم يجد لها ردا، أو أنه رأى لا تستحق المناقشة والرد، وأظن أن هذا ينطبق على اتهام ابن الخشاب للحريري بالسرقة والتسلط على حميد الجاحظ «في الخطبة» واتهامه بالتسلط على رسالة لأبي العلاء المعري دون أن يذكر نص الرسالة أو اسمها «المقامة الأولى» فضلا عن اتهام ابن الخشاب للحريري، في استخدام ابن الخشاب لمصطلح الغصب، وهو أشد أنواع السرقة قائلًا: «وأنبّه مع ذلك على مواضع أخذ منها، واستعان بها، وأنحى عليها، ولم يبين ابن الخشاب المواضع التي يصح إطلاق الغصب عليها»، ولا ذكر شواهدا، فيكون ابن بري محقا في عدم الرد عليه، أو الدفاع عن الحريري. وكتب عبد اللطيف البغدادي المتوفى عام

وأما عبد الملك مرتاض فقد وصف ما كتبه ابن الخشاب بأنه نقد مر، وأن ردَّ عليه ابن بري وحرص على الانتصار للحريري، وأنه كان يبحث عن المخارج لتسويغ أخطاء الحريري، وأن ابن الخشاب كان أكثر موضوعية، وإن اشتد في انتقاده للحريري، وجانب الصواب في بعض مآخذه.<sup>(٩٦)</sup>

وكتب خالد كبير علال عن نقد ابن الخشاب وعدّه رائد نقاد المقامات في عصره دون منازع، وأن ردود ابن جني ضعيفة، وخطأها.<sup>(٩٧)</sup> ومن تحليل الاستدراكات وردود ابن بري عليها



وجد دقة العالمين الجليلين ورغبتهما في الوقوف على الصواب والتنبيه على الخطأ أو التجاوز إلى ما قالته العرب، وما أقرّه العلماء. وإذا كان ابن الخشاب دقيقاً في ملاحظاته، فإن ابن بري بدا حريصاً في ردوده بالإتيان بالدليل والحجة والحديث، « نقد النقد».

#### الهوامش:

١. نسخة جستر بتي ومنها نسخة في مكتبة جامعة الامام محمد بن سعود بالرياض رقم، ٤١٩١.
٢. هكذا وردت تسميتها في طبعة المقامات الأدبية، وطبعة مصر، ت ١٣٢٦هـ - ١٩٠٨ م.
٣. كشف الظنون، ج ٢، ص ١٧٩١.
٤. كشف الظنون، ج ٢، ص ١٧٩١.
٥. بغية الوعاة ج ٢، ص ٣٤ وهم أحد النساخ حين عدّها ردا على ابن الخشاب في رده على الحريري في درة الغواص.
٦. النسخة الخطية المحفوظة في جامعة الملك سعود.
٧. الصحاح، لسان العرب مادة «درك»، النهاية في غريب الحديث، ج ٢، ص ٨١.
٨. الموسوعة الفقهية الكويتية، ج ٣، ص ٣٥.
٩. ينظر: اعتراضات الرضي على النخاعة قي شرح الكافية رسالة ماجستير، إعداد حسان محمد علي تايه،
١٠. الصناعتين، ص ٤٤١.
١١. المثل السائر، ج ٢، ص ١٥٤، المثل السائر تحقيق أحمد الحوفي وبدوي طبانة، طبعة نهضة مصر، وملحق به الفلك الدائر.
١٢. الفلك الدائر ص ٣٣.
١٣. المصدر نفسه، ص ٣٤.
١٤. التعريفات مادة «نكت».
١٥. مجلة فصول المجلد الأول، العدد الثالث سنة، ١٩٨١ م: ٦٤ قراءة في نقاد نجيب محفوظ.
١٦. ينظر نقد النقد وتنظير النقد العربي المعاصر محمد الدغموي، الرباط، ١٩٩٩ م، ص ١٦١.
١٧. نقد النقد في التراث العربي / عبد العزيز قليقطة، ص ٢٣١، القاهرة، دار المعارف، ط ٢، سنة ١٩٩٣ م، نقد النقد في التراث العربي، المثل السائر نموذجاً ١٥.

١٨. نقد النقد في التراث العربي، المثل السائر نموذجاً، ٢٣، ١٥، ٢٤.
١٩. نقد النقد أم الميتانقد، محاولة في تأصيل المفهوم: ١١٨.
٢٠. نقد النقد أم الميتانقد، محاولة في تأصيل المفهوم، ص ١١٩، ١٢٠، وينظر: الأسس النظرية لنقد النقد/ الرشيد هارون، مجلة مركز بابل للدراسات الانسانية، المجلد الثاني، العدد ١، حزيران، ٢٠١٢.
٢١. ينظر: الأسس النظرية لنقد النقد: ص ١٢٥.
٢٢. إنباه الرواة، ج ٣، ص ٢٧.
٢٣. شرح مقامات الحريري للشريشي، ج ١، ص ٣.
٢٤. كشف الظنون، ج ٢، ص ١٧٨٧. وقد وهم الدكتور يوسف الجمل فكتبها نثراً حين تمثل بها.
٢٥. كشف الظنون، ج ٢، ص ١٧٩٨.
٢٦. وفيات الاعيان ج ١، ص ٤٢٠، «عن شرح المقامات المقدمة».
٢٧. من قائمة شروح المقامات في كتابنا استدراقات ابن الخشاب ورد ابن جني عليها.
٢٨. ترجمته هذه من معجم الأدباء لياقوت الحموي ج ٤، ص ١٤٩٤، فما بعده، ومن غيره من المصادر أشرنا إليها في موضعها وترجمة ابن الخشاب في المنتظم لابن الجوزي ج ٩، ص ٢٣٨، إنباه الرواة للقفطي ج ٢، ص ٩٩، امرأة الزمان ج ٨، ص ٢٨٨، سير أعلام النبلاء ج ٢٠، ص ٥٢٣، بغية الوعاة ج ٢، ص ٢٩، طبقات الحنابلة ج ١، ص ٢١٦، الفلاكة والمفلوكون ص ٧٩.
٢٩. معجم الأدباء ج ٣، ص ١٣٨٠.
٣٠. وفيات الأعيان ج ٥، ص ٣٥.
٣١. المصدر نفسه.
٣٢. لم نهتد الى معناها.
٣٣. عدّه الدلجي من المفلوكين، وذكر خلاصة ما ذكرناه من وصف شخصيته: الفلاكة والمفلوكون ص ٧٩.
٣٤. المصدر نفسه.
٣٥. وفيات الاعيان ج ٢، ص ٢٨٤.
٣٦. وفيات الأعيان ج ٣، ص ٨٣، بغية الوعاة ج ٢، ص ٣٨-٤٠.
٣٧. وفيات الأعيان ج ٤، ص ٤٨٠.
٣٨. وفيات الأعيان ج ٤، ص ١٥.
٣٩. معجم الأدباء ج ٥، ص ١٥٠٦.
٤٠. ج ٦، ص ٢٣٧٤.
٤١. تفصيلات هذه الترجمة عن معجم الأدباء ج ٤، ص ١٤٩٥ - ١٥٠٦، وما أخذناه عن غير ياقوت نشير إليه بهامش خاص.
٤٢. قمنا بتحقيقها ودراستها مع ردود ابن بري عليها سندفعها للنشر إن شاء الله.
٤٣. ينظر مثلاً: معجم الأدباء ج ١، ص ٢٠٢ - ٢٠٣، ج ٤، ص ١٨٣١، ج ٣، ص ١٨١٩، ١٣٠٥.
٤٤. ترجمته في معجم الأدباء ج ٤، ص ١٥١٩.
٤٥. بغية الوعاة ج ٢، ص ٣٤.
٤٦. وفيات الاعيان ج ٣، ص ١٨٦.
٤٧. سير أعلام النبلاء ج ٢١.
٤٨. وفيات الأعيان ج ٢، ص ٤٢٢.
٤٩. البلغة ج ٢، ص ٢٦٣.
٥٠. وفيات الأعيان ج ٣، ص ٢٢٠.
٥١. وفيات الأعيان ج ٣، ص ٣٦٧.



٥٢. المصدر نفسه ج٢، ص ٣٨٥.
٥٣. معجم الأدباء ج٤، ص ١٥١٠-١٥١١.
٥٤. وفيات الاعيان ج٣، ص ٤٢٩.
٥٥. الفلاكة ص ٧٩.
٥٦. مقدمة الاستدراك.
٥٧. سورة التكوير ١٩، ٢٠.
٥٨. الورقة الثانية من مخطوط رفعتة من مكتبة المصطفى يحمل رقم ٨١٤ / م٤، وكذلك نسخة دار الكتب المصرية ج٣، ص ٣٧ ق ١١.
- ونسخة أخرى هي من الإصدار الأولى قبل التصحيح وجدنا النص في نسخة أخرى في دار الكتب المصرية، كتبت في القرن الحادي عشر ورقمها ٨١٤ / م.ج.
- وفي الطبعة الهندية عام ١٢٩٩هـ / ١٨٨٢م في بندر، كلكتا «الهند».
- وكذلك في الطبعة الحجرية مع شرح الشريشي في الهامش عام ١٣٠٥هـ / ١٨٨٧م.
٥٩. انظر مثلاً: تفسير الطبري ج٤٢، ص ٢٥٨ الكشاف ج٦، ص ٣٢٥.
٦٠. المصدر نفسه.
٦١. قصة الحديث أن رجلاً جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، كل شيء لي فهو صدقة إلا فرسي وسلاحي. قال: وكانت له أرض، فقبضها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجعلها في الأوقاف، رواه الإمام أحمد ج٦، ص ٣٩، سنن الدار قطني ٢١ موقع مكتبة الحديث الشريف، المعجم الأوسط للطبراني ٨٧٣٩.
- ونقل الهروي النص الذي أورده ابن بري عنه: هم الذين
- مع كل واحد منه وفضة يلقي فيها طعامه وشرابه، وهو مثل الكنانة الصغيرة.
٦٢. كتاب الغريبين ص ٢٠١٩.
٦٣. سورة يوسف ٨٢.
٦٤. في يتكون.
٦٥. الغريبين ص ٥٨٢، الخبر في غريب الحديث لابن الجوزي، وذكره ابن الأثير في النهاية ج٢، ص ٦٢، ولسان العرب "خلص".
٦٦. في ديوان الأدب ج١، ص ٤٥٠: الخُلاصة ما خُلِّصَ من السَّمَن.
٦٧. قولهم: «لا أدري أي الجراد عاره» مثل أي ما أدري من أهلكه ومن دهاه، وأتى إليه ما يكرهه، مجمع الامثال ج٢، ص ٢٢٦.
٦٨. قولهم: "لا أدري أي الجراد عاره" مثل أي ما أدري من أهلكه ومن دهاه، وأتى إليه ما يكرهه. مجمع الامثال ج٢، ص ٢٢٦.
٦٩. المصدر نفسه.
٧٠. الصحاح مادة «سود» والبيت ي ديوان الأعشىين ١٢٤ وقد شرح الأساود الجماعة من الناس الكثير؛ الأساود وأسودة.
٧١. ينظر اعتراضه على جمع معرو على عراة في المقامة التاسعة والثلاثين.
٧٢. شرح المقامات ج٣، ص ١٠ وبعدها أبيات من الشعر.
٧٣. الحديث في صحيح مسلم رقمه ٢٤٦، سنن ابن ماجة ج٢، ص ١٠٩.
٧٤. البيت للأعشى كما في لسان العرب "قبل" وتاج



- العروس «قبل» وديوانه ص ٢٢٥.
- القبيل والقبول: القابلة.
٧٥. ينظر: نقد الشعر ص ١٢٤-١٢٥ ومقدمة بوينا بكر في مقدمته لكتاب نقد الشعر ص ٤١، تاريخ النقد الأدبي عند العرب / احسان عباس ٢٠٢، محاضرات في تاريخ النقد عند العرب / ابتسام مرهون، ناصر حلاوي ص ٣٠٨.
٧٦. من ديوان جريج ٢، ص ١٢٥.
٧٧. من بيت لامرئ القيس في ديوانه ص ١١٠.
٧٨. المثل السائر ٤/٧، وينظر في هذا تفصيلات الضرورة الشعرية في كتاب: لغة الشعر، دراسة في الضرورة الشعرية محمد حماسة عبد اللطيف. دار الشروق القاهرة ١٩٩٦ / ١٤١٦.
٧٩. ديوان الفرزدق ج ٢، ص ٥٧٠.
٨٠. ديوانه ج ١، ص ٢٩٢.
٨١. تخريج البيتين وقول ابن الخشاب في الاستدراكات «تحقيقنا»: المقامة الأولى.
٨٢. سورة الأحزاب ٦٧ الأحزاب ١٠.
٨٣. سورة النجم ٤، وقال بعدها: وزادوا ألفا، فيكون المعنى أي زاد الناس في مثل قوله تعالى: وتظنون بالله الظنون، وإلا يكون صوابه: «فزيدت» على البناء للمجهول إن كان القصد الله سبحانه وتعالى.
٨٤. سورة الفجر ٤-٦.
٨٥. سورة الفجر ١٥.
٨٦. سورة الفجر ١٦.
٨٧. البيت من شواهد الكتاب ونسبه للأعشى ج ٣، ص ٥١٣ وهو في ديوانه ١٤ وبعده في الجزء الرابع ص ١٨٧.
- ومن شانني كاسف وجهه إذا ما انتسبت له أنكرن والبيتان شاهدان على حذف الياء في الوقف من يأتيني وأنكرني.
٨٨. المقامة الثانية.
٨٩. المقامة السابعة.
٩٠. نقل الأزهري في تهذيب اللغة عن ثعلب عن ابن الأعرابي: الحي: الحق، واللي الباطل، ومنه قولهم هو لا يعرف الحي من اللي، وكذلك الحو من اللو في المعنيين. يضرب المثل للأحمق الذي لا يعرف شيئا.
٩١. قولهم في المثل: ما يعرف هرا من بر. قيل معناه: لا يعرف من يهتره أي يكرهه ممن يبره. مجمع الأمثال اللغة، ج ٢ / ص ٢٢٦.
٩٢. شرح مقامات الحريري للشريشي، ج ٣ / ص ٦.
٩٣. جاء في اللسان: أراه لما باصرا أي نظرا بتحديق، ولقي منه لما باصرا أي أمرا واضحا. وقال الليث: رأى فلان لما باصرا أي أمرا مفروغا منه.
٩٤. كشف الظنون ج ١، ص ١٧٤.
٩٥. جريدة القصر، قسم شعراء العراق، تحقيق محمد بهجت الأثري، ص ٦١.
٩٦. فن المقامات في الأدب العربي، الطبعة الثانية ص ٥٣٦.
٩٧. موقع صيد الفوائد: نقد ابن الخشاب لمقامات الحريري الأدبية.



# Muqamat ALHariri between perceptions, criticism and victory Countenances In a circle of critique the criticism

Prof. Dr. Ibtisam Marhoon ALSaffar

## Abstract

This research deals with a number of terms in the books of ancient Arab heritage hovering around the modern monetary term (critique the criticism), Is dependent on the terminology of what was written about the Muqamat ALHariri by some of the old scholars, most notably (Ibn ALKhashab) Who received a message about the Muqamat did not identify himself, therefore named after more than one name. Many replies have been placed on that letter, Perhaps the most famous one made by (Ibn Bari).

And analysis of perceptions to Ibn ALKhashab, Replies of Ibn Bari We find the accuracy of the Respectful scientists and their desire to stand on the right and alert the error or to exceed what the Arabs said, And what scientists approved. Both of them known his ability to follow the writings of others and respond to them, or comment and objection. This makes their criticism efforts close to the term (critique the criticism), which is discussed in modern criticism studies.

